شَرْحُ كِتابِ الرِّقاق

مِن صَحيحِ البُخارِي

أ. أناهيد السميري

اللقاء التاسع

ألقي في ٩ رمضان ١٤٣٥ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

أخواتي الفاضلات، إليكم سلسلة تفاريغ من دروس أستاذتنا الفاضلة أناهيد السميري حفظها الله، وفّق الله بعض الأخوات لتفريغها، ونسأل الله أن ينفع بها، وهي تنزل في مدونة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ)

http://tafaregdroos.blogspot.com/#!/

تنبيهات هامة:

- منهجنا الكتاب والسنة على فهم السلف الصالح.

- هذه التفاريغ من اجتهاد الطالبات ولم تطلع عليه الأستاذة حفظها الله، أما الدروس المعتمدة من الأستاذة فهي موجودة في شبكة مسلمات قسم (شذرات من دروس الأستاذة أناهيد)

http://www.muslimat.net/

- الكمال لله عزّ وجلّ، فكتابه هو الكتاب الوحيد الكامل السالم من الخطأ، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم فيه من خطأ فمن أنفسنا والشيطان، ونستغفر الله. .

والله الموفق لما يحب ويرضى.

ما تم دراسته من أبواب:

١٤) بَاب قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ((مَا أُحِبُّ أَنَّ لِي مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا))

١٥) بَاب الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ

١٦) بَاب فَضْلِ الْفَقْرِ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

نجلس جلستنا هذه إن شاء الله ونحن راجين من الله أن نكون ممن يقال لهم قوموا مغفورًا لكم.. اللهم آمين.

لازلنا نتدارس في كتاب صحيح البخاري ونتدارس كتاب الرقاق وقد وصلنا إلى الباب الرابع عشر.

تدارسنا في الباب السابق الثالث عشر: "بَاب الْمُكْثِرُونَ هُمْ الْمُقِلُّونَ" وهو نفس الحديث الذي سنتدارسه.

بَاب قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا أُحِبُّ أَنَّ لِي مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا

قَالَ أَبُو ذَرٍّ: كُنْتُ أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَرَّةِ الْمَدِينَةِ فَاسْتَقْبَلَنَا أُحُدٌ فَقَالَ: ((يَا أَبَا ذَرٍّ)) قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: ((مَا يَسُرُّنِي أَنَّ عِنْدِي مِثْلَ أُحُدٍ هَذَا ذَهَبًا تَمْضِي عَلَيَّ ثَالِثَةٌ وَعِنْدِي مِنْهُ دِينَارٌ إِلَّا شَيْئًا أَرْصُدُهُ لِدَيْنٍ إِلَّا أَنْ أَقُولَ بِهِ فِي عِبَادِ اللَّهِ هَكَذَا وَهَكَذَا وَهَكَذَا عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ وَمِنْ خَلْفِهِ)) ثُمَّ مَشَى فَقَالَ: ((إِنَّ الْأَكْثَرِينَ هُمْ الْأَقَلُّونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا مَنْ قَالَ هَكَذَا وَهَكَذَا وَهَكَذَا عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ وَمِنْ خَلْفِهِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ))، ثُمَّ قَالَ لِي: ((مَكَانَكَ لَا تَبْرَحْ حَتَّى آتِيَكَ))

ثُمَّ انْطَلَقَ فِي سَوَادِ اللَّيْلِ حَتَّى تَوَارَى فَسَمِعْتُ صَوْتًا قَدْ ارْتَفَعَ فَتَخَوَّفْتُ أَنْ يَكُونَ قَدْ عَرَضَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَرَدْتُ أَنْ آتِيَهُ فَذَكَرْتُ قَوْلَهُ لِي لَا تَبْرَحْ حَتَّى آتِيَكَ فَلَمْ أَبْرَحْ حَتَّى أَتَانِي، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَقَدْ سَمِعْتُ صَوْتًا تَخَوَّفْتُ فَذَكَرْتُ لَهُ، فَقَالَ: ((وَهَلْ سَمِعْتَهُ؟)) قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: ((ذَاكَ جِبْرِيلُ أَتَانِي فَقَالَ مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِكَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ)) قُلْتُ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟ قَالَ: ((وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ)).

هذا الحديث هو نفسه الذي مر معنا في الباب السابق، أورد نفس الحديث تحت بابٍ آخر وهو "بَاب قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا أُحِبُّ أَنَّ لِي مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا"، ونحن في السياقات التي مضت كنا نناقش ونعيد على أنفسنا موقف المؤمن من المال، وكيف أن المال بالنسبة للمؤمن الذي يؤمن باليوم الآخر إنما هو وسيلة لإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، وسيلة للقربة إلى الله، فليس في قلبه طمع بالمال طمع من يريد أن يعمر دنياه ولا يعمر أخراه، بل المال في نظر المؤمن المتيقن وسيلة إلى الآخرة.

ومر معنا أيضًا نقاش أن هذا لا يخالف أننا طبعنا على حب المال، لابد أن تفهم أننا داخل صراع بين ما طبعنا عليه وما جبلنا الله عز وجل عليه وبين ما أمرنا به، والتقوى هو أن يغلب ما أمرنا الله به الطبع الذي نحن عليه، وهذا معنى ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا*فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا*قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾، الذي زكاها حملها على الحق، وفي مسألة المال حملها على الإنفاق، وسيتبيّن لي أيضًا من هذا الحديث هذا الأمر نفسه.

هذا الحديث مختصر عن الأول؛ الأول النبي صلى الله عليه وسلم كان يسير وخرج أبو ذر رضي الله عنه يمشي في ظل القمر فرأى النبي صلى الله عليه وسلم سائرًا فخاف أن لا يريد أحدًا، فشعر به النبي صلى الله عليه وسلم فقال من هذا قال أبو ذر أنا قال له تعال وسار معه وحصل الحديث الذي سمعناه، هذا جزء آخر مكمل لنفس الرواية ومن طريقة البخاري اختصار الحديث يعني هنا يأتي به كاملًا وهنا يأتي بجزء منه وهذه صنعه لمن فقهها استفاد منها.

هنا في الرواية "قَالَ أَبُو ذَرٍّ كُنْتُ أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَرَّةِ الْمَدِينَةِ" وحرة المدينة معلوم هي منطقة خارج المدينة بعيدة عن الحرم الآن وبعيدة أيضًا عن العمران، والذي يسير في هذه المنطقة يرى حرة المدينة صخورها سوداء.

"فَاسْتَقْبَلَنَا أُحُدٌ" معناه أنها في منطقة بعيدة عن المدينة.

"فَقَالَ: "يَا أَبَا ذَرٍّ قُلْتُ لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ مَا يَسُرُّنِي أَنَّ عِنْدِي مِثْلَ أُحُدٍ هَذَا ذَهَبًا تَمْضِي عَلَيَّ ثَالِثَةٌ وَعِنْدِي مِنْهُ دِينَارٌ" يعني النبي صلى الله عليه وسلم لا يسره أن يكون عنده مثل أحد ذهب ويحبسه أكثر من ثلاثة ليال.

"إِلَّا شَيْئًا أَرْصُدُهُ لِدَيْنٍ" يعني مال أحبسه لدين عليّ.

"إِلَّا أَنْ أَقُولَ بِهِ فِي عِبَادِ اللَّهِ هَكَذَا وَهَكَذَا وَهَكَذَا عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ وَمِنْ خَلْفِهِ"، بمعنى التفريق والإعطاء.

"ثُمَّ مَشَى فَقَالَ: "إِنَّ الْأَكْثَرِينَ هُمْ الْأَقَلُّونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ" يعني الأكثرين من المال اليوم هم المقلون يوم القيامة من الحسنات.

"مَنْ قَالَ هَكَذَا وَهَكَذَا وَهَكَذَا عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ وَمِنْ خَلْفِهِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ" يعني الذي يستثنى من الأكثرين المقلون يوم القيامة هو الذي يعطي هكذا وهكذا إشارة إلى أنه بدون أن يحسب وبدون أن يرى أنه أنفق فيقع في قلبه الضيق والخوف من الفقر.

"ثُمَّ قَالَ لِي: "مَكَانَكَ لَا تَبْرَحْ حَتَّى آتِيَكَ" ثُمَّ انْطَلَقَ فِي سَوَادِ اللَّيْلِ حَتَّى تَوَارَى فَسَمِعْتُ صَوْتًا قَدْ ارْتَفَعَ فَتَخَوَّفْتُ أَنْ يَكُونَ قَدْ عَرَضَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ" يعني سمع صوت للنبي صلى الله عليه وسلم وسمع أصوات فخاف أن يكون تعرض النبي صلى الله عليه وسلم لعارض والنبي صلى الله عليه وسلم قال لأبي ذر مكانك لا تبرح حتى آتيك فهذا امتثالًا للنبي صلى الله عليه وسلم لم يتحرك.

"فَأَرَدْتُ أَنْ آتِيَهُ فَذَكَرْتُ قَوْلَهُ لِي لَا تَبْرَحْ حَتَّى آتِيَكَ فَلَمْ أَبْرَحْ حَتَّى أَتَانِي، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَقَدْ سَمِعْتُ صَوْتًا تَخَوَّفْتُ فَذَكَرْتُ لَهُ، فَقَالَ: "وَهَلْ سَمِعْتَهُ"؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: "ذَاكَ جِبْرِيلُ أَتَانِي فَقَالَ مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِكَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ"، قُلْتُ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟، قَالَ: "وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ".

ومعلوم معنى هذا الحديث معناه أنه إذا مات العبد لا يشرك شركًا أكبرًا ولا أصغرًا لا يخلد في النار، إن مات الإنسان وقد أشرك شركًا أكبرا يخلد في النار، وإن أشرك في الدنيا ثم تاب تاب الله على من تاب.

عندنا ثلاثة أحوال:

١. حال يكون الإنسان مشرك شركًا أكبرًا ويموت عليه هذا يخلد في النار والعياذ بالله.
٢. حال يكون الإنسان أشرك شركًا أكبرًا لكن تاب قبل أن يموت وهذا لا يخلد في النار وتاب الله على من تاب.
٣. وحال لا يشرك الإنسان أصلًا في حياته وهذا الفضل لله عز وجل لا يشرك شركًا أكبرًا ولا أصغر هذا يرجى له أن تغفر له ذنوبه، أو أن يدخل النار يطهر من ذنوبه مثل الزنا والسرقة وغيره ثم يكون مصيره إلى الجنة.

نسأل الله عز وجل أن نكون ممن يدخل الجنة من غير حساب ولا عقاب اللهم آمين.

المقصود أن هناك من خلق الله من يدخل الجنة ولا يدخل النار حتى لو أذنب، كيف يكون هذا؟

أن الله عز وجل يغفر له ذنوبه، ويغفر الله عز وجل الذنوب لعبد قد اجتهد في التوحيد، ولذلك: ((يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً))[1] فإذا أتاه الله عز وجل بقرابها مغفرة، لا يدخل النار للتطهير، حتى لو كان أذنب يدخل الجنة، فمعناها أن العبد يكون اجتهاده في التوحيد.

وعلى كل حال لو اجتهد العبد في التوحيد ستأتيه ذنوب الغفلات، يعني المجتهد في التوحيد الذي قلبه معلق بالله الذي يرجو الله عز وجل رجاءً قويًا ويخافه خوفًا عظيمًا هذا يذنب لكن ذنوبه ذنوب الغفلات ولا يتقصد الذنب لكن غفلة على غفلة على غفلة تجعل قراب الأرض من الخطايا.

وقد مر معنا سابقًا أن الذنوب الصغائر من العبد تنضج كما وصف النبي صلى الله عليه وسلم صغائر العباد بقوم نزلوا وادي وأرادوا أن ينضجوا طعامًا فأتى هذا بعود وأتى هذا بعود انتهى الأمر أنهم جمعوا حطبًا كثيرًا واستطاعوا بهذا الحطب أن ينضجوا طعامهم، فمعنى ذلك هكذا تجتمع الصغائر على العبد وتكاد تهلكه.

اتفقنا على ثلاثة أمور:

- أن من أشرك شركًا أكبرًا ومات وهو مشرك يخلد في النار ولا يغفر الله هذا الذنب.
- من أشرك وتاب قبل أن يموت تاب الله على من تاب.
- من عاش غير مشركٍ ومات غير مشرك هذا يرجى أن تغفر له ذنوبه.

على كل حال حتى التائب يرجى أن تغفر له ذنوبه ويعامل معاملة تاب الله على من تاب.

نأتي للحديث الثاني:

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((لَوْ كَانَ لِي مِثْلُ أُحُدٍ ذَهَبًا لَسَرَّنِي أَنْ لَا تَمُرَّ عَلَيَّ ثَلَاثُ لَيَالٍ وَعِنْدِي مِنْهُ شَيْءٌ إِلَّا شَيْئًا أَرْصُدُهُ لِدَيْنٍ)).

نفس دلالة الحديث الماضي؛ أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يسره أن يبقى عنده مثل أحدٍ ذهب، والذي يسره أن يبقى عنده المال؟ هذا لازال يعاني من الطمع، والطمع كما ذكرنا سابقًا هذه جبلة جبل الله عز وجل عليها الخلق، هذه جبلة موجودة في نفوس الناس، المنتصر على نفسه هو الذي يجاهد فينجح، الذي لا ينتصر على نفسه، ما انتصر اليوم ينتصر غدًا، ما انتصر غدًا ينتصر بعده، المهم يبذل الإنسان جهده ما استطاع إلى أن يخرج من قلبه الشح وليعلم أن كل يوم هناك ملك يدعو: ((مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ العِبَادُ فِيهِ، إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلاَنِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا))[2].

---

[1] رواه الترمذي وصححه الألباني.

[2] رواه البخاري في صحيحه.

يأتي الباب الخامس عشر:

بَاب الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ

وَقَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: {أَيَحْسِبُونَ أَنَّ مَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ}، إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: {مِنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ}.

قَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ: "لَمْ يَعْمَلُوهَا لَا بُدَّ مِنْ أَنْ يَعْمَلُوهَا".

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ وَلَكِنَّ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ)).

البخاري يعقد أبوابًا يسمي فيها اسم منتزع من الحديث أو من دلالة الحديث، وقد يكون في اسم الباب أيضًا آية تشير إلى نفس المعنى ثم يأتي بالحديث.

"بَاب الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ" هذه الجملة منتزعة من حديث النبي صلى الله عليه وسلم.

وَقَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿أَيَحْسِبُونَ أَنَّ مَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ﴾ هذه آية سورة المؤمنون

قَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ: "لَمْ يَعْمَلُوهَا لَا بُدَّ مِنْ أَنْ يَعْمَلُوهَا". هذا تعليقه على آية المؤمنون.

نبدأ أولًا بفهم الآية في سورة المؤمنون:

﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ (٥٥) نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لَّا يَشْعُرُونَ (٥٦) إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ (٥٧) وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ (٥٨) وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ (٥٩) وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ (٦٠) أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ (٦١) وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٦٢) بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ﴾

معلوم سورة المؤمنون وكيف أنها بدأت بقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ وهذا حكم بفلاحهم ثم أتى بعد ذلك صفات للمؤمنين، أتى من هذا السياق الذي نتدارسه أتى من هم ضدهم، وفي أثناء وصف من هم ضدهم وصف المؤمنون مرة أخرى.

الآيات بدأت بقوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُونَ﴾ من هم؟ سيتبيّن لك من الذين يحسبون، ﴿أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ هذا المقصود به ضد المؤمنون، من نفس السياق في الصفحة سيتبيّن من هم ضد المؤمنين؛ لن تتصورون كيف يحصل الانتقال بين وصف الكافرين ووصف المؤمنين إلا لما تتصورون السورة كاملة، نسير في السورة بالإجمال ثم نصل إلى الموطن الذي نحن فيه.

تبدأ السورة: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ إلى أن تنتهي صفاتهم من آية ١ إلى آية ١١، ثم بعدما يصف الله عز وجل المؤمنين يصف لنا كمال صفاته سبحانه وتعالى وآثار كمال صفاته في خلق الإنسان وخلق الأشياء للإنسان، يعني هؤلاء المؤمنون انتفعوا من تفكرهم في آيات الله، أين آيات الله حولهم؟ ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ﴾ يعني بدأت السورة ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ثم ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ﴾.

ثم يسير السياق وتسمع عن آياته الكونية سبحانه وتعالى في خلق الإنسان وفيما خلق له، يعني الله خلق الإنسان وخلق له، أين الآيات خلق له؟ ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ﴾، ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ﴾ .

يعني: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾، ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ﴾، ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ﴾ نسير الآن إلى نهاية السياق ستجدون الأمر الثالث المهم إرسال الرسل، يعني أفلح المؤمنون بأمرين:

- بنظرهم في الآيات الكونية.
- وباستجابتهم للرسل أي الآيات الشرعية.

ستسير وتسمع عن نوح عليه السلام، نسير في السياق إلى أن تنتهي قصة نوح، لم نُخبر عن أسماء الرسل إنما للإشارة إلى سنة الله في إرسال الرسل، يعني الله عز وجل له سنة في إرسال الرسل والأقوام هذه ردودهم.

السورة فيها تأمل أكثر من ذلك لكن هذا مخطط عام من أجل أن تتصوروا.

يعني أفلح المؤمنون وفلاحهم بسبب نظرهم إلى آيات الله الكونية ومتابعة الآيات الشرعية، والله عز وجل قد أقام الحجة على كل الناس فطرهم على فطر سوية وأقام حولهم الحجج الكونية وأرسل لهم الرسل بالآيات الشرعية، إلى أن وصلنا ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾.

يعني الله عز وجل أخبرنا عن نوح عليه السلام، وأخبرنا عن نبي لم يسمى، أخبرنا عن سنته، أخبرنا عن موسى عليه السلام وأخبرنا عن عيسى ابن مريم، ثم قال لنا ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ ماذا كان ردهم؟ ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ معناه أنه كان المفروض الاستجابة للأنبياء لكنهم تقطعوا أمرهم بينهم وكل حزب بما لديهم فرحون.

نرى هؤلاء من تقطعوا أمرهم ما صفاتهم؟ من هنا هؤلاء الذين تقطعوا أمرهم بينهم زبرا هم الذين ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ هم يظنون هذا الظن، يعني كان موقفهم من الرسل عدم الاستجابة ثم رأوا أن الله عز وجل يمدهم بمال وبنين، فهم فكروا وظنوا ظنًا خاطئًا أن ما يمدهم به الله من مال وبنين أن الله عز وجل راض عنهم ويسارع لهم في الخيرات، ﴿بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾ لا يشعرون بأن هذا من سخط الله عليهم أنه يمدهم بمال وبنين، إنما هي مسارعة لهم من أجل أن يأثموا ويصلوا إلى ما حكم عليهم به، إلى هنا انتقالة دقيقة تحتاج إلى فهم.

﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ (٥٥) نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ يعني هؤلاء ظنوا خطأً بعدما انقسموا على أنبيائهم وتحزبوا وظنوا أن معهم شيء لما نظروا إلى معاملة الله لهم ظنوا أن عطاؤه في الدنيا دليل على رضاه.

ثم انتقل السياق أن الحقيقة أنه لو نظرت إلى حال المؤمنين تبيّن لك ما هو الرضا الحقيقي، فالقوم الأولين من ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ (٥٥) نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾ هؤلاء جمعوا بين أمرين بين الاساءة والأمن وكان المفروض يكون حالهم كحال المؤمنين الذين يجمعون بين الإحسان والخوف، انظر لصفاتهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ (٥٧) وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ (٥٨) وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ (٥٩) وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾.

إلى هنا تبيّن أن القوم الأولين جمعوا بين الإساءة والأمن وكان المفروض أن يكون حالهم مثل حال المؤمنين الذين جمعوا بين الإحسان والخوف، في البداية قال الله عز وجل: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ (٥٥) نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ صفة المؤمنين هم يسارعون في الخيرات، هناك الله يسارع لهم بالخيرات التي هي الدنيا وهم يحسبون أن المسارعة بالدنيا من رضا الله عز وجل.

والصحيح أن الإنسان يعمل ويبذل في سبيل الله عز وجل جهده وماله وكل ما يملك ويحسن في العمل مع جمعه للخوف ووصفه أنه يسارع بالخيرات، هذه الخيرات غير الخيرات الأولى، الخيرات الأولى معناها الدنيا، فالله عز وجل يسارع لهم في خيرات الدنيا وهم يظنون أن الله راض عنهم والرضا الحقيقي أن يفتح الله عز وجل للعبد باب يسارع فيه للخيرات الحقيقية التي هي العمل الصالح.

السياق ابتدأ بوصف ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ (٥٣) فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ﴾ هذا كله كلام عن هؤلاء الكفار ثم أتى وصف المؤمنين ثم عاد السياق مرة أخرى لوصف الكافرين.

ثم قال الله عز وجل بعدما أخبرنا أن المؤمنين يسارعون في الخيرات ﴿وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ يعني الكفار والمؤمنين ما أمروا إلا بما هو تحت يدهم لكن هؤلاء زكوا أنفسهم فاستجابوا وسارعوا بالخيرات والأولين أهل الكفر كان حالهم أنهم طمعوا في الدنيا فظنوا أن عطاء الله لهم وإعطاءهم الدنيا ومسارعته في الخيرات دليل على رضاه سبحانه وتعالى.

﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ﴾ يعني قلوبهم في غمرة، والغمرة هذه مثل واحد غرقان في غمرة، بمعنى أنهم لا يرون الحقائق أبدا، وبعد سورة المؤمنون تأتي سورة النور فيضرب مثال لمن كان في غمرة ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً﴾ هذا أول مثل، والمثل الثاني: ﴿ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا﴾ كأنه في غمرة في بحر لجيّ إذا أخرج يده لم يكد يراها.

﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا﴾ يعني من هذه الحقائق ﴿وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ﴾ يعني الله سيتركهم ويمدّ في أعمارهم حتى يعملوا هذه الأعمال التي تزيد في آثامهم ثم يأخذهم أخذ عزيز مقتدر، ولذلك قَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ: "لَمْ يَعْمَلُوهَا لَا بُدَّ مِنْ أَنْ يَعْمَلُوهَا"، يعني لهم أعمال كفرية الله عز وجل يمكنهم حتى يستوفوها كاملة.

نعيد مرة أخرى:

﴿وَإِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ هذا الخطاب للأنبياء ومن تبعهم أن أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون.

﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ المعنى أن أتباع الأنبياء تفرقوا وكل حزب بما لديه من شيء من العلم وشيء من الفهم فرح بما عنده وكوّن حزبا.

﴿فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ سمعت غمرتهم ثم ستسمع غمرتهم مرة أخرى، ﴿فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ يعني اتركهم في فهمهم هذا حتى حين لأنهم لا يريدون أن يفهمون كما المثل في سورة النور إذا أخرج يده لم يكد يراها تصوري قلب أمامه الحق ومع ذلك لا يقبله ولا يريده.

﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ (٥٥) نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾ هنا جواب محذوف: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ﴾ دليل على رضانا ﴿نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ عقوبة لهم ﴿بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾ أنهم يعاقبون، ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ﴾ هنا وصف الكمال الذي كان مفروض أن يكون كان المفروض أن يجمعوا بين الإحسان والخوف وأولئك جمعوا بين الإساءة والأمن.

﴿وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ (٥٨) وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾ ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ (٦٠) أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ إلى هنا وصف المؤمنون بعدة صفات مجمل الصفات انتهت بأنهم أحسنوا وأيضًا أنهم خائفين ووصفهم أنهم يسارعون في الخيرات وأولئك يسارع الله لهم في الخيرات، المسارعة في الخيرات الأولى أي الدنيا والمسارعة في الخيرات الثانية هم يسارعون في الخيرات أي في طاعة الله عز وجل.

﴿وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ المعنى أن الله عز وجل ما كلف هؤلاء وهؤلاء إلا ما يستطيعون وسيكتب عليهم أعمالهم لكن هؤلاء سارعوا في الخيرات طاعة لله عز وجل وأولئك فرحوا بما سارع الله لهم به من خيرات وطمعوا فيها ولم ينفقوها فيما يجب عليهم.

﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا﴾ يعني قلوبهم في غمرة من هذه الحقيقة لا يرونها، ﴿وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ﴾ يعني الله عز وجل لا يقبضهم حتى يستوفوا أعمالهم الباطلة كلها ويحاسبون عليها عقابًا لهم.

لماذا أتى بباب الغنى غنى النفس مع هذا السياق؟ أولئك الذين طمعوا كان حسبانهم كله أن رضا الله هو أن يمدهم بمال وبنين، وحياتهم كلها دائرة حول المال والبنين بمعنى أطماعهم آمالهم تفكيرهم كله دائر حول المال والبنين، ولما تقرأ في السياق أراد البخاري في السياق كامل الذي قرأناه أراد منا أن نفكر أنه ليست المسارعة بالخيرات في الدنيا هي دليل رضا الله عز وجل بل دليل رضا الله عز وجل كما قال سبحانه وتعالى: ﴿أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ أن يفتح لك الباب فتسارع أنت في الخيرات، ومن المسارعة في الخيرات أن تنفق وأن تعطي ما تحت يدك وأنت طامع فيما عند الله عز وجل، ولما تسمع كلمة تنفق لا تظن أن الإنفاق هو المال فقط إنما من كل شيء أعطيته فإن أعطيت صحة في بدن فالإنفاق يكون ببذل ببدنك في سبيل الله وإن أعطيت علم فالإنفاق هو أن تُعلم في سبيل الله، وفي كل الأبواب التي اعطيناها من عقل ومن فهم ومن قدرة على الإصلاح ومن ومن هذه كلها تحتاج إلى إنفاق، يسارعون في الخيرات فينفقون أبدانهم في طاعة الله، يسارعون في الخيرات فينفقون أموالهم في طاعة الله، يسارعون في الخيرات فينفقون أوقاتهم في طاعة الله، يسارعون في الخيرات فينفقون عقولهم وجهودهم في سبيل الله.

فالمقصود أن الغنى غنى النفس، فمن طمع فيما عند الله عز وجل يوم القيامة غير من طمع في الدنيا وما فيها، الغنى الحقيقي هو غنى النفس عن الدنيا.

نزيد البيان في حديث النبي صلى الله عليه وسلم وهذه من الجمل الجميلة من حديث النبي صلى الله عليه وسلم التي علينا أن نتداولها في نفوسنا علاجًا لأمراض القلب ونتداولها في تربية ذارينا أيضًا في علاج أطماعهم.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ وَلَكِنَّ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ"

"كَثْرَةِ الْعَرَضِ" يعني كثرة المال وكثرة الأمور التي يستطيع الإنسان أن يستعملها في دنياه، لكن الغنى الحقيقي هو غنى النفس.

كما مر معنا سابقًا أن كثير من الناس يتصورون أن كثرة الأعراض عندهم يعني كثرة الأدوات وكثرة الأمور التي يستعملوها من أجل إشباع نفوسهم هذه تدل على غناهم والصحيح عكس ذلك لأن كلما زاد حاجة الإنسان إلى الأشياء كلما زاد فقره.

الفقر في حقيقته هو الحاجة، تعال فكر في الحياة نحن فقراء بذاتنا، لا نصبح أغنياء إلا بالأشياء، فنحن فقراء إلى أحذيتنا أن تحملنا، وفقراء إلى فرشنا أن ننام عليها، وفقراء إلى طعمنا أن نأكله وإلى شرابنا أن نشربه، فكل شيء تحتاجيه تعتبر فقير إليه.

تصور لو أردت إشباع حاجتك الأساسية من طعام وشراب ونوم وإلى آخره بزيادة العرض يعني لن تنامي على أي فراش ولا أي مخدة، لابد من صفات معينة وكلما زاد المال كلما زادت هذه المواصفات.

الناس يتصورون أن كثرة العرض هذا دليل على غناهم والنبي صلى الله عليه وسلم يقول:"لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ" بالعكس كثرة العرض تدل على زيادة الفقر، فأنت الآن لا تستطيع أبدًا إذا زاد إشباع نفسك بتفاصيل أكثر وتفاصيل أكثر تجد نفسك لا تستطيع أن تشبع حاجتك في الشيء الأدنى فتصبح أكثر فقرًا وأكثر احتياجًا، فأصبح كثرة العرض إنما هو زيادة في الفقر وليس زيادة في الغنى.

ما هو الغنى الحقيقي؟ الغنى الحقيقي هنا في كلام النبي صلى الله عليه وسلم لا تتصور أنه إشارة إلى السمو والعلو هو يصف لك الغنى الحقيقي، فالغنى الحقيقي أن تكون غنى النفس عن كثرة الأعراض فلما تغنى نفسك عن كثرة الأعراض مع وجودها لا تجد نفسك مشلولًا في أي مكان، لا تجد نفسك مخذولًا في أي مكان.

ومن أجل أن يتم الأمر لك فهمًا فكر في الحج، الحج أكبر مؤشر على أن الغنى غنى النفس، لأنك لما تخرج في الحج مهما فعلت لنفسك ومهما حملتها على أرفع وأرقى ما يكون، فهناك تعب وصراع وعدم قدرتك على الاستجابة لكل الأشياء التي حولك كما ينبغي إلا تتعرض لها، يعني لا تجد كل ما تريده متوفر مهما كنت في أحسن مكان، فيظهر فقر الإنسان وعدم قدرته على المعايشة للأمور لأنه أكثر فقرا فالغنى في حقيقته غنى النفس، وعلى ذلك إن أتى استمتعت به وإن لم يأتي لا تتطلبه، وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يتطلب مفقود أبدًا، يعني الشيء الغير موجود لا يتطلبه، فهذا معناه الذي يتوفر لنا كان به والذي لا يتوفر لا نلح ونستغني عنه بقلوبنا وإذا جاء وكتب لنا أرزاق تمتعنا به وما كتب لنا أرزاق، ولا تجد نفسك فقيرة ومحتاجة إليه، ممكن يكون الإنسان تحت يده المال لكن هذا أيضًا دليل على فقره، يعني إذا بقي الإنسان يستجيب لنفسه ويستجيب لنفسه لا يستطيع أن ينتج ولا أن يفعل ولا أن يعبد ويزيد فقره.

تبيّن لنا كلام النبي صلى الله عليه وسلم: "الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ" يعني ليس كثرة العرض هي دليل الغنى إنما الغنى غنى النفس، ولاحظوا الباب السابق لتتصوروا: "لَوْ كَانَ لِي مِثْلُ أُحُدٍ ذَهَبًا لَسَرَّنِي أَنْ لَا تَمُرَّ عَلَيَّ ثَلَاثُ لَيَالٍ وَعِنْدِي مِنْهُ شَيْءٌ إِلَّا شَيْئًا أَرْصُدُهُ لِدَيْنٍ"

المقصود يكون الإنسان غني وعنده أموال لكن لا يحبسها لأعراضه أنه يريد أن يغتني ويغتني، إنما يستعمل هذا المال في الإنفاق فيكون وسيلته للقرب من ربه ومثله في بقية ما أعطاه الله من قوة ومن علم ومن قدرة على الإصلاح وكل هذا ينفقه في سبيل الله ينميه الله عز وجل ويكثره ويرفع به درجته عنده.

نأتي بالعكس في الباب الذي بعده:

بَاب فَضْلِ الْفَقْرِ

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ أَنَّهُ قَالَ: مَرَّ رَجُلٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لرَجُلٍ عِنْدَهُ جَالِسٍ: ((مَا رَأْيُكَ فِي هَذَا؟)) فَقَالَ: رَجُلٌ مِنْ أَشْرَافِ النَّاسِ هَذَا وَاللَّهِ حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ يُنْكَحَ وَإِنْ شَفَعَ أَنْ يُشَفَّعَ، قَالَ: فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ مَرَّ رَجُلٌ آخَرُ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((مَا رَأْيُكَ فِي هَذَا؟)) فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا رَجُلٌ مِنْ فُقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ هَذَا حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ لَا يُنْكَحَ وَإِنْ شَفَعَ أَنْ لَا يُشَفَّعَ وَإِنْ قَالَ أَنْ لَا يُسْمَعَ لِقَوْلِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((هَذَا خَيْرٌ مِنْ مِلْءِ الْأَرْضِ مِثْلَ هَذَا)).

مَرَّ رَجُلٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لرَجُلٍ عِنْدَهُ جَالِسٍ: يعني هذا مجلس النبي صلى الله عليه وسلم ومر رجل وبجانب النبي صلى الله عليه وسلم رجل.

"هَذَا -يعني الأخير- خَيْرٌ مِنْ مِلْءِ الْأَرْضِ مِثْلَ هَذَا" -يعني الأول-.

ليس خير منه فقط، إنما املأ الأرض كلها بمثل الأول، وسيكون الثاني خير من ملء الأرض مثل الأول!

فهذا دليل على أن ميزان الناس عند الله ليس مثل ميزان الناس عند الناس.

وأيضًا دليل على أن قد يكون العبد ذا فقر وضيق في حاجته ولكنه عند الله له مكانة عظيمة.

حَدَّثَنَا الْحُمَيْدِيُّ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا وَائِلٍ قَالَ: عُدْنَا خَبَّابًا فَقَالَ: "هَاجَرْنَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نُرِيدُ وَجْهَ اللَّهِ فَوَقَعَ أَجْرُنَا عَلَى اللَّهِ فَمِنَّا مَنْ مَضَى لَمْ يَأْخُذْ مِنْ أَجْرِهِ شيء مِنْهُمْ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ قُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ وَتَرَكَ نَمِرَةً فَإِذَا غَطَّيْنَا رَأْسَهُ بَدَتْ رِجْلَاهُ وَإِذَا غَطَّيْنَا رِجْلَيْهِ بَدَا رَأْسُهُ فَأَمَرَنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ نُغَطِّيَ رَأْسَهُ وَنَجْعَلَ عَلَى رِجْلَيْهِ شَيْئًا مِنْ الْإِذْخِرِ وَمِنَّا مَنْ أَيْنَعَتْ لَهُ ثَمَرَتُهُ فَهُوَ يَهْدِبُهَا"

هذا كلام خباب رضي الله عنه وهو من صحابة النبي صلى الله عليه وسلم الذين هاجروا معه وذاق من الآلام ما ذاق في سبيل الإيمان ثم يصف حالهم ويصف كيف انتقلوا من وإلى وكيف محبتهم لما مضى.

قال: "هَاجَرْنَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نُرِيدُ وَجْهَ اللَّهِ" ما كانوا يفكرون غير في طاعة الله عز وجل ورضا الله، "فَمِنَّا مَنْ مَضَى لَمْ يَأْخُذْ مِنْ أَجْرِهِ شيء" يعني في الدنيا لم يذق الفتوحات ولم تأتي الأموال عليه ولم يذق شيء منها ووصف منهم مصعب ابن عمير، ومصعب ابن عمير خاصة وصف لما كان عليه من رغد عيش وهو في مكة، يعني كان من الأغنياء في مكة لكنه لما قتل يوم أحد من فقره لم يكن عنده إلا نمرة يعني قطعة قماش هذه النمرة من قصرها إذا غطوا رأسه بدا قدمه وإذا غطوا قدمه بدا رأسه فمن أجل أن يكفنوه بها، فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم أن يغطوا رأسه ويضعوا على قدمه الإذخر وهو كان ذا مال لكنه هاجر في سبيل الله وكان هذا فقره من أجل الله عز وجل.

يقول خباب: "وَمِنَّا مَنْ أَيْنَعَتْ لَهُ ثَمَرَتُهُ فَهُوَ يَهْدِبُهَا" يعني يجنيها، بمعنى أن بعض الصحابة بقوا بعد النبي صلى الله عليه وسلم وفتحت الفتوحات وأتى ما أتت الأموال فأينعت له ثمرته كأنه قطف ما زرعوا في بداية الأمر.

الشاهد في هذه الجملة في قوله: "فَوَقَعَ أَجْرُنَا عَلَى اللَّهِ فَمِنَّا مَنْ مَضَى لَمْ يَأْخُذْ مِنْ أَجْرِهِ شيء" كأن خباب رضي الله عنه يخاف أن يكون ما أخذوه من زينة الدنيا ينقص لهم أجورهم في الآخرة، هذا خوف وفيما يدل على كلامه لما نتقدم في الأبواب سيأتينا ما يدل على كلام خباب وعلى خوفه رضي الله عنه، لكن المهم هذا الخوف الذي في قلبه دليل على حرصه على أجره عند الله وخوفه من أن يكون ما يصرفه في الدنيا وينفقه يأتيه ويتمتع به وينفقه في سبيل الله يخاف أن يكون عليه نقص في أجره عند الله.

في الحديث أيضًا:

عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((اطَّلَعْتُ فِي الْجَنَّةِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الْفُقَرَاءَ وَاطَّلَعْتُ فِي النَّارِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ)).

تَابَعَهُ أَيُّوبُ وَعَوْفٌ وَقَالَ صَخْرٌ وَحَمَّادُ بْنُ نَجِيحٍ عَنْ أَبِي رَجَاءٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ.

أما من جهة الفقراء فالأمر واضح، والفقراء هنا يقصد بهم الراضين بما قسم الله، المتمتعين بنعمة الله عز وجل فيما أعطاهم الله عز وجل وليس الطامعين فيما عند الناس، الطامع فيما عند الناس ليس هناك فائدة من بقائه فقيرًا مثله مثل الطامع من الأغنياء لكن لما يكون فقير راض عن الله، قابل بما عند الله، لا يتطلع فيما عند الناس، ينتظر أجره من عند الله يكون من أهل الجنة، والسبب في ذلك أن قلة المال وعدم التعلق به يجعل القلب يرجو الآخرة وينتظرها ويصبح هناك فراغ في شغل الإنسان فيتقرب من الله لكن من كثر ماله وكثر عنايته به قل عنايته بالآخرة وانشغل عنها.

"وَاطَّلَعْتُ فِي النَّارِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ" والسبب معلوم ورد في أحاديث أخرى كثرة اللعن، سرعة الغضب، قلة الرضا، كلها من الأسباب التي تجعل النساء والعياذ بالله من أهل النار، المقصود أن النساء وما ابتلوا به من طباع مجاهدتهم فيها تحتاج إلى بذل جهد ومعرفة أين نقاط ضعفنا من أجل أن نعالج نقاط الضعف ونزيد إيمان ونبتعد عن ما يخالف طريق الله عز وجل، والمرأة طبعت على طباع تحتاج معرفتها أولًا ثم تحتاج علاجها بما أمرها الله ومن بين ذلك ما نسميه بتعبيرنا العصبية وكونها من جهة سريعة الغضب ومن جهة سريعة الاهتمام بالهموم واحساسها دائمًا أن الأمر يضيق ومن أقل أمر يثيرها..

هذا كله يحتاج في مقابلها أن يدخل في القلب معرفة الله عز وجل والثقة بالله والتوكل على الله، فيطيب خاطرها ويقلل اهتمامها ويصرف عنها الخوف من المجهول الذي يخافه الناس والمرأة أكثر الناس خوفًا من أي شيء يأتي والسبب عدم اليقين والطمأنينة بالله عز وجل، وتجد النساء في كثير منهم في حال قلق واضطراب مستمر، دائمًا خائفة أن يحصل كذا وخائفة ان يحصل كذا فهذا كله سببه عدم امتلاء القلب ثقة بالله وطمأنينة إليه.

في مقابل أن المؤمن اطمئن قلبه ووثق بربه.

نسأل الله عز وجل أن يجعلنا من المطمئنين بذكره الراضين بقضائه، الذين انصرف عنهم الشيطان وانصرف عنهم مخاوفه، لأن الشيطان هو الذي يخوفك والمرأة تستجيب أكثر لهذا التخويف، ويكفرن العشير أتت من كل هذه المخاوف التي يشعرون بها.

حَدَّثَنَا أَبُو مَعْمَرٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَارِثِ حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي عَرُوبَةَ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: "لَمْ يَأْكُلِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى خِوَانٍ حَتَّى مَاتَ وَمَا أَكَلَ خُبْزًا مُرَقَّقًا حَتَّى مَاتَ".

لازلنا في باب فضل الفقر ومن فضل الفقر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان أغلب حاله الفقر.

"لَمْ يَأْكُلِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى خِوَانٍ حَتَّى مَاتَ" خوان نسميها السفرة التي يأكل عليها الإنسان.

"وَمَا أَكَلَ خُبْزًا مُرَقَّقًا حَتَّى مَاتَ" يعني الخبز الذي يكون قد نخل دقيقه.

وهذا كله فيه إشارة أنه صلى الله عليه وسلم كان في حالة من الفقر وقلة الطمع في الدنيا، لا تتصور أنه لم يكن يأتيه مال كان يأتيه بعد ما فتح وفتحت خيبر وأتاه ثمارها وأتاه ما فيها من خراج لكنه صلى الله عليه وسلم جعل هذا المال في الإنفاق في سبيل الله، ما حبسه لنفسه صلى الله عليه وسلم.

ومن ذلك ما كان في حال عائشة رضي الله عنها:

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: لَقَدْ تُوُفِّيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَا فِي رَفِّي مِنْ شَيْءٍ يَأْكُلُهُ ذُو كَبِدٍ إِلَّا شَطْرُ شَعِيرٍ فِي رَفٍّ لِي فَأَكَلْتُ مِنْهُ حَتَّى طَالَ عَلَيَّ فَكِلْتُهُ فَفَنِيَ".

"لَقَدْ تُوُفِّيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَا فِي رَفِّي مِنْ شَيْءٍ يَأْكُلُهُ ذُو كَبِدٍ" يعني رفها المكان المرتفع الذي تضع عليه الأشياء.

"إِلَّا شَطْرُ شَعِيرٍ فِي رَفٍّ لِي " المقصود إناء فيه شعير.

"فَأَكَلْتُ مِنْهُ حَتَّى طَالَ عَلَيَّ" يعني كلما أخذت منه باقي، وتأكل وتأكل منه وباقي.

"فَكِلْتُهُ فَفَنِيَ" أولًا كانت البركات تنزل فيه ولما كالته فني!

الشاهد ليس هنا وإن كان هذا المدهش أنها كانت تأخذ منه ولا يفنى، فلما استعجلت وكالته فني وانتهى.

الشاهد في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم توفي وما في بيته شيء يأكله ذا كبد إلا شطر شعير، هذا يدل على أن هذه صورة حياة النبي صلى الله عليه وسلم، ولا بأس حتى لو تنعم الإنسان وكثر ما عنده من مال وتمتع به فالحمدلله رب العالمين لكن أهم شيء كما اتفقنا الغنى غنى النفس، يعني إن وجد أخذت وإن لم يوجد لا تطمع، وإن لم يوجد لا تتحسر، وإن لم يوجد لا تتفقد، إنما الموجود تتمتع به والغير موجود لا تسأل عنه، وكلما زاد في يدك شيء يكون مقصدك أن تنفق ها هنا وها هنا كما وصف النبي صلى الله عليه وسلم.